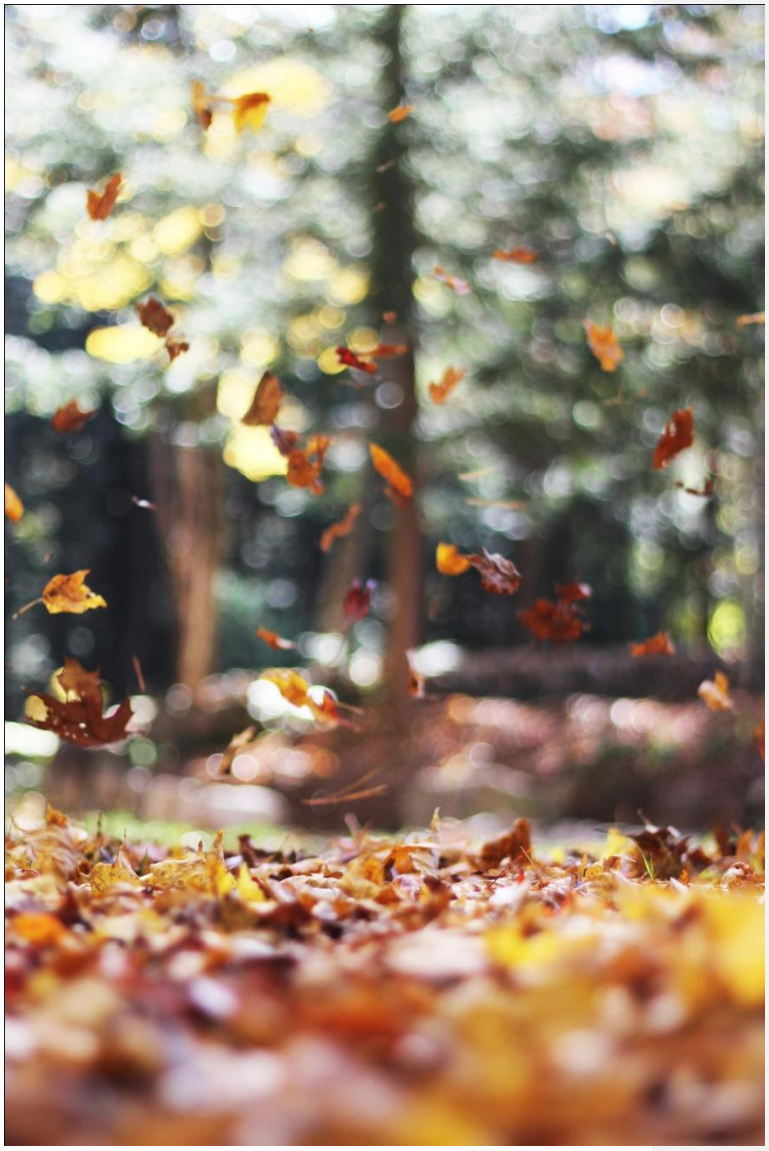

تفريغ محاضرة

لا ترضَ بالنَّقص

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

١٤٤٥/١١/١٢ هـ

"لا ترضَ بالنَّقص"

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمدَ لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله.

أمّابعد

فحديثنا اليوم حديثٌ مهمٌّ، عن كيفية تربية أنفسنا تربيةً تجعل منها شخصية إسلامية مؤثرة، لذلك لا بد لكل مسلم أن يتحلّى بمجموعة من الصفات والمعايير تدخل في بناء شخصيته.

ويأتي الحديث عن هذا الأمر؛ لما نعيشه من فتن وتقلّبات في زماننا وهي تعد واحدةً من علامات اقتراب يوم القيامة التي حدّثنا عنها النبي عليه الصلاة والسلام.

- **أمثلةٌ عن القدوات الإسلامية**

عُرفَ الأنبياء بأنهم أعظمُ الناس أخلاقًا، وأكملهم صفاتًا، وقد اتَّصف كل نبيٍّ من الأنبياء بصفاتٍ تميزه عن غيره؛ وذلك لما عانوه وتحملوه في دعوتهم أقوامَهم؛فعُرفَ إبراهيم عليه السلام بتوحيده وبراءته من الشرك، وعرف أيوب عليه السلام بصبره على قضاء الله، وعرف موسى عليه السلام بصبره على أذى قومه وتكبرهم على طاعة الله، ونوحٌ عليه السلام وغيره من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، وقد اتصف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بكل هذه الصفات، فكان خاتمَهم وأكملهم عليهم صلوات الله **قال النبي عليه الصلاة والسلام**:"إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الأخلاق"[1].

وقد خضعوا جميعًا لتربيةالله عز وجل، فصنعهم وأكمل سجاياهم بما أوحاه إليهم، يقول عزوجل مخاطبًا كليمه موسى عليه السلام: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾[طه: 39].

وإن محمدًا صلى الله عليه وسلم أوّلُ شخصيةٍ إسلامية، وأول قدوة للمسلمين إلى قيام الساعة، فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يقتبسون من هداه، ويتمثلون بأخلاقه وصفاته حتى اتُّصِفوا بأنهم مصاحفُ تمشي على الأرض، فتطبّعوا بكتاب الله وبالأخلاق التي حضَّ عليها، فكانوا يأتمرون بأوامره،وينتهون عن نواهيه.

وقد تخرَّج الصحابة رضوان الله عليهم من مدرسة سيد الخلق وأكملهم خُلُقًا، فكان عمر بن الخطاب صاحبَ شخصيةٍ

[1] أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وصحّحه الألباني.

قويةٍ صلبة، إلا أنه كان يمشي في قضاء حوائج الناس، وتفقّدهم والسؤال عن أحوالهم.

يروي عنه طلحة بن الزبير رضي الله عنه، يقول:**"مشيت في أثرِ عمر، فرأيتُه دخلَ بيتَ امرأةٍ معروفٍ في المدينة، فجلسَ عندها بُرهةً ثمّ خرج، فلمّا أصبحَ الصباحُ ضربَ باب هذه المرأة، فاستأذنَ فأذنتْ له، فلمّا دخلَ عليها فإذا هي عجوزٌ مقعدةٌ عمياءُ، فجاءها طلحة فقال لها: يا أمّ ماذا يفعل هذا الرجل الذي أتاك البارحة؟ فقالت: لا أعلمُ من هو، لكنّه يأتيني منذُ كذا وكذا، صارَ له سنينَ يتعاهدني ويُخرِجُ عنّي الأذى، ويأتي لي بما يَصلُحُ لي. فقال طلحة: ثكلتكَ أمُّك يا طلحة، أعثراتُ عمرَ تتبع؟"**

لقد كان هؤلاء من أكمل الخلق ولا يخلو من عداهم من نقصٍ أو عيب، فعلى الرغم من أنك لن تصل للكمال، إلا أنك يجب أن ترفض النقص وتسعى إلى تغيير نفسك فذلك خيرٌ لك من أن ترضى بهذا النقص وتعيشَ غارقًا بذنوبك؛ فالسعي إلى الكمال واجبٌ يفرضه علينا الإسلام دين الكمال، فقد نزلت آخر آيةٍ من كتاب الله تؤكد ذلك في حجة الوداع. قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[المائدة: 3].

وإنّ رضاك بهذا النقص دون أيِّ محاولة تغيير لنقصٍ آخر، فالعالم لا يصبح عالمًا دفعةً واحدة، إنما يتعلم شيئًا فشيئًا، يخطئُ ويصيب، يحسنُ ويسيء. **قال رسول الله ﷺ:**"إنّما العلمُ بالتّعلُّمِ والحِلْمُبالتّحلُّمِ"[2].

وقال النبي عليه الصلاة والسلام:"مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ ابْتَنَى بُيُوتًا فَأَحْسَنَهَا وَأَجْمَلَهَا، وَأَكْمَلَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ وَيُعْجِبُهُمُ الْبُنْيَانُ فَيَقُولُونَ: أَلَّا وَضَعْتَ هَا هُنَا لَبِنَةً فَيَتِمَّ بُنْيَانُكَ! فَقَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ: فَكُنْتُ أَنَا اللَّبِنَةَ"[3]،فبرسول الله ﷺ اكتمل جمال الحياة فكانت هذه الشريعة أكمل الشرائع بخلاف شريعة موسى التي نزلت في اليهود إذ اتسمت بالتشديد فكانت مبنية على الحلال والحرام، وشريعة عيسى النصرانية واتسمت بالتخفيف؛ حيث ركّز الإنجيل على أعمال القلوب، أما الإسلام فقد جاء مخاطبًا القلب والجوارح على سواء، فهو دين إيمان وعقيدة فيه خمسة أركان أساسية، وأحكامٌ خاصةٌ بالعبادات، والمعاملات في البيع والشراء والقروض والنكاح والطلاق وحضانة الأولاد وغيرها. فجاء النبي ليعلي مكانة الناس بالأخلاق الرفيعة.

قال النبي عليه الصلاة والسلام: "الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً. فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ. والحياء شعبة من الإيمان"[4]،**ويقول النبي عليه الصلاة والسلام:**"أَرْبَعُونَ خَصْلَةً، أَعْلَاهُنَّ مَنِيحَةُ الْعَنْزِ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا رَجَاءَ ثَوَابِهَا، وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهَا الْجَنَّةَ"[5].

---

[2] أخرجه الدارقطني في الأفراد، وحسنه الألباني.

[3] أخرجه مسلم في صحيحه.

[4] أخرجه مسلم في صحيحه.

[5] أخرجه البخاري في صحيحه.

إن أبواب الخير كثيرة لم يذكرها النبي عليه الصلاة والسلام؛ كي لا يزهد الناس بالخير، فذكر أنها أربعون أعلاها أن تعطي جارك شاةً يحلبها فينتفع منها، ومن عمل بخصلةٍ منها رجاءَ أجرها إلّا أدخله الله الجنة.

فمن الضروري أن نبدأ بالأعمال الصالحة فلا نترك سهمًا من سهام الخير إلا كان لنا نصيبًا منه، ولذلك النبي عليه الصلاة والسلام كان يتفقد هذا الكمال في الصحابة، ويتحفظه بالرعاية. **ويذكرُ أنه ﷺجلس مرةً مع أصحابه فسألهم:**"مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟ " **قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا.** قَالَ: فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟ **قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا.** قَالَ: فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟ " **قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أَنَا.** قَالَ: فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟**قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا.** فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم: ما اجتمعن في امرئٍ إلّا دخلَ الجنة"[6].

فتخيلوا أن تجتمع خمسةٌ من خصال الخير في رجلٍ واحد، فيدخل الجنة، وقد اجتمعت كلُّها في أبي بكر رضي الله عنه، فبشّره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه من أهل الجنة.

وما يزال رسول الله ﷺ يوصي بمكارم الأخلاق وأهمُّها الأناةُ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي، قَالَ:"لَا تَغْضَبْ. فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: لَا تَغْضَبْ"[7].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سأل رسول الله ﷺ أصحابه:"أتدرونَ ما المفلسُ؟قالوا: المفلسُ فينا مَنْ لا دِرهمَ له ولا متاعَ، فقال:"إنّ المفلسَ مِنْ أمتي يأتي يومَ القيامةِ بصلاةٍ، وصيامٍ، وزكاةٍ، ويأتي قد شتمَ هذا، وقذفَ هذا، وأكلَ مالَ هذا، وسفكَ دمَ هذا، وضربَ هذا. فيُعطى هذا مِنْ حسناتِه، وهذا من حسناتِه، فإنْ فنيَتْ حسناتُه قبلَ أن يُقضى ما عليه أُخذَ من خطاياهُم فطُرِحَتْ عليهِ، ثمَّ طُرِحَ في النّار"[8]، فهكذا يكون القصاص يوم القيام من صلاة العبد واعتكافه وصيامه وصدقته وحجّه.

قال الإمام الحسن بن علي رضي الله عنهما عن صفات المؤمنين: **"إنّ من أخلاقِ المؤمنين قوةً في دين، وكرمًا في دين، وحزمًا في علم، وعلمًا في حلم، وتوسعةً في نفقة، وقصدًا في عبادة، في غنى، وتحرجًا في طمع، وبرًا في استقامة، لا يحيف على من يبغض، ولا يأثم فيمن يحب، ولا يدّعي ما ليس له، ولا يجحد حقًّا هو عليه، ولا يهمز، ولا يلمز، ولا يبغي، متخشّعٌ في الصلاة متخشع، متوسّعٌ في الزكاة، شكورٌ في الرخاء، صابرٌ عند البلاء، قانعٌ بالذي له، لا يطمع به الغيظ، ولا يجمع به الشح، يخالط الناس ليعلم، ويسكت ليسلم، يصبر إن بُغيَ عليه؛ ليكونَ إلهه الذي يجزيه ينتقم منه".**

---

[6] أخرجه مسلم في صحيحه.

[7] أخرجه البخاري في صحيحه.

[8] أخرجه مسلم في صحيحه.

وهذا حالُ أهلنا المؤمنين الصابرين في فلسطين فقد وصلني اليومَ مقطعٌ لتسجيلٍ صوتي لرجلٍ من أهلنا في غزة، يسأله سائلٌ كيف تتحملون ما أنتم به من ضيق وكرب؟فيرد عليه: نحن نعيش في ضيق، وبلا طعام أوماء، إلّا أنّنا قضينا 22 سنةً نأكل أطيب الأكل، فهلّا نصبر على الجوع سنةً واحدةً في سبيل الله.

تأملوا -إخوتي في الله- كلامه، فهذا هو الإيمان الحقيقي، وهذه أخلاق المؤمن الحق الذي يكون شكورًا في السرّاء ووقورًا في الضرّاء، قانعًا بما عنده، كاظمًا غيظه لا يغلبه الشح، يخالط الناسَ ليتعلّمَ أو ليُعلِّمَ، وينطق ليفهمَ، ويصمت ليسلمَ، وإن بُغيَ عليه صبرَ حتى يكونَ الله من ينتقمُ له يومَ القيامة.

وكلنا يعلم شجاعة وثبات إمامنا أحمد بن حنبل-رحمة الله عليه-على الحق في فتنة خلق القرآن لأكثر من 16 سنة، تولّى الخلافة فيها أكثر من أربعة خلفاء كلهم قالوا بخلق القرآن، إلا أنه قال بالقرآن كلام الله، لا شيئًا مخلوقًا كسائر مخلوقات هو تحمل الاعتقال والتعذيب والجلد حتى انخلع كتفيه وهو في السبعين من عمره، ولذلك عرفَ بإمام أهل السنة. وهكذا ثبت الله أهل السنة بأبي بكر يوم الردة وبالإمام أحمد يوم الفتنة.

ومن منّا لا يعرف شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- الذي نشأ في عصر كثر فيه الفلاسفة والمتكلمة والرافضة والصوفية، وفي وسط هذا كله يثبت الله عز وجل هذا الدين بشيخ الإسلام ابن تيمية.

وفي عام 1300ه وصل الأمر بالناس في السعودية إلى الإشراك بالله تعالى، فظهرت دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب وقد تعرض للطرد ومحاربة الناس له، إلا أنّه صبر وجاهد لإعلاء كلمة الحق، والدفاع عن دين الله.

- **طرقُ تربيةِ النفس:**

1-<u>الترغيبُ والترهيب:</u>

قال النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسي عن الله عز وجل:"وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ"[9].

فالذي يريد أمرًا ما بذل جهده للوصول إليه.

2-<u>التأثُّرُ والتأثير</u>

كان الصحابة والسلف الصالح شديدي التأثر بغيرهم، يتأثرون ويؤثرون، وهذا دأب الصالحين ممن بعدهم. قال الإمام أحمد رحمه الله: **"صحِبتُ ابنَ عونٍ -أحدَ أئمةِ الحديث- عشرينَ سنةً صيفًا وشتاءً، ليلًا ونهارًا، فما وجدتُه في يومٍ إلّا وهو زائدٌ عليهِ بالأمس".**

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: **"وأنت ترى وجوهَ أهلِ الطاعةِ إذا تقدّموا بالسنِّ وكبروا ازدادوا نَضرةً**

[9] أخرجه البخاري في صحيحه.

وجمالًا، وأتى أهلُ المعصيةِ والشرِّ والبدعةِ يكونُ أحدُهم في مقتبلِ عمرِه شابًّا وسيمَ الكنْ لا يزالُ يواقعُ الفواحشَ ويقعُ فيها وبألوانِ المنكراتِ، ويستمرُّ فيها على البدَعِ، فيقبُحُ وجهُه في الكبرِ فتراهُ قبيحًا ذميمًا".

ونذكر تأثر أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- لمّا أرادت أن تحجّ فجاءها الحيض، فبكت ظنًّا منها أن الحيض سيُفسد حجها فدخل عليها النبي عليه الصلاة والسلام وهي تبكي، فأخبرته بما حدث، فقال لها:"هَذَا أَمْرٌ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ، اقْضِي مَا يَقْضِي الْحَاجُّ غَيْرَ أَنْ لَا تَطُوفِي بِالْبَيْتِ"[10]،فطمأنها وأخبرها بأن تؤدي العمرة بعد أن تطهُرَ، فكم نفتقد مثل هذا التأثر والحرص على دين الله في حياتنا المعاصرة. وقد كان أسامة بن زيد يقود معركة وهو ابن حِبِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعُرفَ بالحب ابن الحب وكان عمره قرابة 17 سنةً، فجاء أحد المشركين الذين أثخنوا قتلًا في المسلمين فتبارز معه فغلبه أسامةُ،ولمّا جاء ليضربه الضربة القاضية قال الكافر: لا إله إلا الله، فقام أسامة بن زيد بضربه، فأجهز عليه،فلما انتهت المعركة أحسّ أسامة بالندم لما فعل فذهب إلى النبي عليه الصلاة والسلام وأخبره بما حصل **فقال له النبي عليه الصلاة والسلام:**"أَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَقَتَلْتَهُ؟" قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلَاحِ. قَالَ "أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا ."فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ"[11].

عندها قال أسامة لرسول الله: استغفر لي، فقال له: فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟ فقال أسامة: يا رسول الله استغفر لي -حتى بلغت ثلاث مراتٍ- قال أسامة: فوددت لو أني لم أسلم إلّا يومئذ؛ ذلك أن الإسلام يمحو ما قبله.

فتأمل -أخي في الله- هذا التأثر والتفاعل عند صحابة رسول الله، فقد كان الواحد منهم يكون في يده تمرةً،فيسمع كلام الله ورسوله، فيرمي بها، قال الله عز وجل: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾[الحديد: 21]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قوموا إلى جنةٍ عَرضُها السماواتُ والأرضُ"[12]، يقول عمير بن الحمامِ الأنصاري:يا رسولَ الله، جنةٌ عرضها السماواتُ والأرض؟ قال: نعم، قال: بخٍبخٍ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما يَحمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟ قَالَ: لَا والله يا رسول الله إلّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ. فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثمّ قال: لَئِن أنا حييتُ آكلَ تمراتي هذهِ إنّها لحياةٌ طويلةٌ، قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثمّ قاتلهم حتى قُتِلَ"[13].

---

[10] أخرجه البخاري في صحيحه.

[11] أخرجه مسلم في صحيحه.

[12] أخرجه مسلم في صحيحه.

[13] أخرجه مسلم في صحيحه.

وممن تأثر برسول الله أنس بن مالك-رضي الله عنه- فكان إذا مر على صبيان صغار يسلم عليهم، ويقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك، وابن وائل -أحد كبار السلف- فقد كان يأتي عجائزَ الحي فيطوف عليهن، ويشتري لهن حوائجهن.

فأين نحن من هؤلاء، ومن التأثر بهم، فكثيرًا ما نغفل عن الخلل في شخصياتنا، فنفعل المنهي عنه ونترك المأمور فعله،فإياك أن ترضى بالنقص وتتعايش مع ذنبك، ولتربِّ نفسك على الكمال.

➢ صفاتُ الشخصيةِ المسلمة

1- <u>الإيمانُ بالله والإخلاصُ له</u>

فالإيمان بالله هو الذي يثبتك ويقويك في وجه الفتن ومتغيرات الحياة. فلما وقف سحرة فرعون أمامه في موقف مرعب. قالوا:﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾[طه: ٧٢]

فتوعدهم فرعون بعذاب مبين، قال تعالى: ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾[طه: ٧١]

فمقياس إيمانك هو ما يجعلك ثابتًا أمام كل متغير وفتنة.وما عليك إلّا أن تسخر نفسك وحياتك كلها لله سبحانه وتعالى ولا تفعل أي شيء إلا وأنت قاصدٌ فيه وجه الله. **عن أبي هريرة رضي الله عنه قال الله تعالى:** **"أنا أغنى الشركاءِ عن الشركِ. مَنْ عملَ عملًا أشركَ فيه معي غيري، تركتُه وشركَه"[14] ،** فالعمل من أجل الناس شرك، فأحسن نيتك، ولا تترك العمل خوفًا من هذا الرياء ولا تعمله من أجل الناس.

وروي في قصة صاحب النقب الذي كان يقاتل في جيش المسلمين وساهم في فتح حصن من حصون المسلمين، فخرج على الناس وهو ملثم، فأراد أمير الجيش معرفته، فطلب إحضاره إليه ليكافئه فرفض، فبعد أن أقسمَ عليه بحق إمرته عليه استجاب له وجاءه ليلًا ملثمًا مخفيًا هويته، فقال للأمير: جئتك من عند صاحب النقب وله شرط ألّا تبحث عنه ولا تطلب رؤيته أو الحديث معه، ثم كشف عن وجهه فإذا هو صاحب النقب، فقال له: أحرجتني فأخرجتني، فشرطت عليك ألّا تشهر أمري، ولا تسألني عن اسمي، ثمّ ذهب.

2-<u>الصدق</u>

وهو أن تصدق في نيتك وفي قولك وفي عمل جوارحك، فما تؤمن به هو الذي تتكلم به، وما تتكلم به هو الذي

[14] أخرجه مسلم في صحيحه.

تفعله بجوارحك، ذلك أنّ أولَ من يشهد على صاحبه يوم القيامة جوارحُه، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[فصلت: ٢١]، وقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[التوبة:١١٩]. وقال ﷻ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾[المائدة: ١١٩]

وقال النبي عليه الصلاة والسلام:"وما يزالُ الرجلُ يصدُقُ، ويتَحَرّى الصدقَ حتى يُكتَبَ عندَ اللهِ صِدّيقًا"[15].

يظهر لنا مما سبق أهمية صفة الصدق ومنزلة الصادقين.

3- الاستقامة:

ومن الصفات التي يبحث عنها الإنسان لتكتملَ شخصيته المسلمة أن يستقيم على التزام أوامر الله واجتناب نواهيه بلا تردد أو تراجع، قال تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾[فصلت: ٣٠].

ويقول الحسن البصري رحمه الله عن لحظة اجتياز المؤمنين الصراط المستقيم: **"استقاموا على أمرِ اللهِ فعملوا بطاعتِه واجتنبوا بطاعتِه، فلم يلتفتوا عنهُ يَمنةً ولا يَسرةً".**

فبمقدار استقامتك في الدنيا يكون لك يومَ القيامة فمن رزقه الله الاستقامة في دنياه أقامه الله على الصراط يوم القيامة ولعظم هذا الموقف ترى جميع الأنبياء واقفين على جنبات الصراط يقولون: اللّهم سلّم، اللّهم سلّم إلى أن تجتازَه الأمم كلّها.

4- الثبات

أن تثبتَ على دين الله عز وجل، في زمنٍ حذر رسول الله مما سيحدث في آخره من تغير حال الناس، يصبحُ فيها الرجل القابض على دينه كالقابضِ على قطعةٍ من الجمر.**يقول النبي عليه الصلاة والسلام:** "بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا"[16].

ويتطلب الثبات أمرين مهمين: العلم والصبر، فإذا كثرت الفتن قلّ العلم، وساد الجهل حتى يكاد يختفي، فيقل العلماء، ففي هذه الحالة يتوجب على المؤمن التحلي بالصبر، وقد جمع الله ثلثَ الدين في سورة واحدة، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ(2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[العصر:1-3]فجمعتِ

[15] أخرجه مسلم في صحيحه.

[16] أخرجه مسلم في صحيحه.

الأصول الأربعة للدين: الإيمان، وعمل الصالحات، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر؛ ولذلك من يريد الثبات ثبته الله ومن زاغ عن الحق أبعده الله بلا رجعة. قال تعالى:﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُم﴾[الصّف: ٥].

5- علوُّ الهمة

أن تكون همتك في الحياة عالية فلا ترضى بتوافه الأمور. قال الله عز وجل محفزاً عباده:﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[الواقعة: ١١]، وقال عز وجل:﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وجنة نَعِيمٍ﴾]الواقعة: ٨٨].

وقد قسَّم الله الناس يومَ القيامة أصنافًا:السابقون، المقربون، أصحاب اليمين، أصحاب الشمال، فاختر ممن تريد أن تكون.

ويقول الله عز وجل: ﴿فَمِنهم ظالم لِنَفْسِهِ ومِنهم مُقْتَصِدٌ ومنهم سابِقٌ بالخيَرات﴾[فاطر: ٣٢]

وقد قال عنهم الإمام ابن كثير رحمه الله: **"هم الذين فعلو الواجبات والمستحبات وتركو المحرمات والمكروهات".**

قال الله تعلى لموسى لما أنزل عليه الكتب والألواح:﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾[الأعراف: ١٤٥].

و**قال النبي عليه الصلاة والسلام:**"إن الله تعالى يحب معالي الأمور وأشرافها ويكره سفسافها"[17]**،وقال عليه الصلاة والسلام:**"الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ"[18]**،وقال عليه الصلاة والسلام عن سلمان الفارسي:**"لَوْ كَانَ الدِّينُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَذَهَبَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ فَارِسَ - أَوْ قَالَ: مِنْ أَبْنَاءِ فَارِسَ - حَتَّى يَتَنَاوَلَهُ"[19]. يقصد: سلمان الفارسي. فتأمل أخي في الله ما أشدَّ إعجاب النبي ﷺ بسلمان الفارسي والأعجب منه ما الذي فعله سلمان لينال هذا القدر من الحب والإعجاب؟

يقول الخليفة عمر بن عبدالعزيز -رحمه الله-لوزيرٍ له واسمه رجاء: **"إنَّ لي نفسًا توّاقةً، تاقتْ إلى فاطمة بنتِ عبدالملك أن أتزوجَها فتزوجتها، ثمّ تاقتْ إلى أمارةِ المدينةِ فوُلّيتُها، ثمّ تاقتْ إلى الخلافةِ، فأدركتُها. وإنّ نفسيَ اليومَ تتوقُ إلى الجنة"**، فقد كان لعمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه-نفسٌ عاليةٌ المطامح في الدنيا، ولمّا تحقّق لها كل شيء، أخذتْ تطمح إلى الجنة.

قال النبي عليه الصلاة والسلام:"تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا"[20].

فمن كان سيّدَ قومه في كفرِه صار سيّدهم بعد إسلامه، ومن كان يسير بالناس إلى الشر، صار يسير بهم إلى الخير بعدما عرف الله.

---

[17] أخرجه الطّبراني في معجمه الكبير، وصحّحه الألباني.

[18] أخرجه مسلم في صحيحه.

[19] أخرجه مسلم في صحيحه.

[20] أخرجه البخاري في صحيحه.

أسأل الله أن يُحسن أخلاقنا وأن يُعلِّمنا ما ينفعنا وأن ينفعَنا بما علمنا،ونسأله أن يجعلنا ممن يحب ويرضى وأن يجعل خير أعمالنا خواتمها وخير أيامنا يوم نلقاه. أقول هذا والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها